العبسي، فقال له: هل أنت عنترة؟ أشجع أهل زمانك؟ فهل بإمكانك أن تعلمني الرجولة والشجاعة؟

فقال عنترة: ضع إصبعك في فمي، وسأضع إصبعي في فمك، وليعضّ كل واحد منا إصبع الآخر، في وقت واحد. وهكذا. فصرخ الحكيم: أخ. فقال عنترة: لو لم تقل أخ لقلتها أنا... هذه هي الرجولة والشجاعة وهي أن تصبر قليلاً حتى ينفذ صبر عدوك، ثم قال للحكيم: فهل بإمكانك أن تعلمني الحكمة، فقال الحكيم: ضع إصبعك في فمي، فمد إصبعه حالاً ووضعها بدون تحفظ في فم الحكيم، الذي عضها بسرعة فصرخ عنترة: أخ، فقال الحكيم: لو فكرت قليلاً قبل أن تضع أصبك في فمي لأدركت أني ربما سأعضها وأسبب لك الألم، ولأحجمت عندئذٍ عن وضعها في فمي، هذه هي الحكمة: أن تنظر في عواقبِ الأمور قبل وقوعها[1].

□□

كيف نصنع من الخسارة ربحاً؟

قد يتعجب القارئ من هذا السؤال ومن هذه الخليقة لأول وهلة أو أولِ نظرة، لكننا نطمئنهُ ونقول له: ارجع بصرك كرة أخرى ينقلب إليك البصر ويزيل منك التعجب من أن ترجع الخسارة ربحاً وكسباً، وأن يرجع النصر خسارة.

إن باستطاعة الإنسان كفرد أو أمة أن يكسب المعركة التي

(1) مجلة التربية الإسلامية، العددان (11، 12) السنة(26) 1405 هـ 1985م، نقلاً عن جريدة الداعي الهندسية.

انهزم فيها، وأن يرجع وباله على عدوه، بعد أن عاش الهزيمة ونال وبالها. ولكن يحصل ذلك إذا لم يستسلم إلى الخسارة والهزيمة وإنما ترفع عنها وصنع منها نصراً وسؤدداً «إننا نواجه في الحياة معارك نخسر بعضها، ونربح الأخرى، إلّا أنه لدى التدقيق نكتشف أن ليس هناك معركة في حياة الإنسان كفرد أو أمة يخسرها خسارة كاملة، إلا إن يحولها إلى ذلك، كالانتصار قد يولد في نفسك الغرور فينتهي بعشرات الهزائم».

الانتصار قد يكون خسارة وهزيمة، إن لم يستطع الإنسان الارتفاع إلى مستواه، والهزيمة قد تولد في نفسك الجدية والفاعلية والتنظيم فتستطيع أن تكسب بذلك ألف معركة ومعركة...

إذاً: فأنت الذي تقرر إن كانت معركتك ربحاً أو خسارة، وليست الحياة أو الظروف.

والتأريخ الإنساني والإسلامي تزخر صفحاته بنماذج ومشاهد تعكس هذه الحال، فلتراجع ولتتصفح لتجلو لك صدق ما ذهبنا إليه.

□□

اختيار الكلام

قال ابن عبد ربه: واختيار الكلام أصعب من تأليفه وقد قالوا: اختيار الرجل وافِدُ عقله، وقد قال الشاعر:

قد عرفناك باختيار إذ كا
ن دليلاً على اللبيب اختياره

وقال أفلاطون: عقول الناس مدونة في أطراف أقلامهم،

وظاهرة في حُسن اختيارهم.

❑❑

نصيحة ثمينة

احفظ هذه الكلمات: فيهن صلاح الملك واستقامة الرعية:

1 ـ لا تعِدَنّ عِدة لا تثق من نفسك بإنجازها.

2 ـ ولا يغرّنك المرتقى وإن كان سهلاً إذا كان المنحدر وعراً.

3 ـ واعلم أن للأعمال جزاءً فاتّقِ العواقب.

4 ـ واعلم أن الأمور بغتات فكن على حذر[1].

❑❑

حفظ الأسرار

قالت الحكماء: ما كنتَ كاتِمهُ من عدوك فلا تُطلع عليه صديقك.

❑❑

الفردوس المفقود

كيف فقدت غرناطة:

سقطت هذه المدينة على يد طاغيين كاثوليكيين: فردناند ملك أراغون، وإيزابيلا ملكة قشتالة في 897هـ. 1492م.

وبسقوط هذه المدينة انتهى حكم الإسلام في شبه الجزيرة الأيبيرية (الأندلس). يروي لنا المؤرخون بهذه المناسبة قصة

(1) العِقد الفريد (1/ 57).

مؤثرة، ذلك أن أحد ملوك غرناطة محمد الحادي عشر الملقّب (أبو عبد الله الصغير) حين رحل عن غرناطة وولّى مدبراً من العدو إلى فاس بالمغرب، وكانت معه أمه عائشة، توقف عند مرتفع يشرف على مدينة غرناطة اسمه (تل البذول) نظر بحسرة باكية إلى غرناطة الجميلة، وأجهش بالبكاء وصاح: الله أكبر، فقالت له أمه قولة اضطرب بها الصوت ووقعت في نفس الأمير الباذخ وقع الحُسام المهند:

نعم ابك مثل النساء على ملكٍ لم تحافظ عليه مثل الرجال[1]

ورحم الله أبا إسحاق إبراهيم بن خفاجة حين قال يرثي بلنسية:

عـائـت بـسـاحـتـك الـظـبـي يـا دارُ
ومـحـا مـحـاسـنَـك الـبِـلـى والـنـارُ
فـإذا تـردد فـي جـنـابـك نـاظـر
طـال اعـتـبـار فـيـك واسـتـعـبـار
أرض تـقـاذفـت الـنـوى بـقـطـيـنـهـا
وتـمـخـضـت بـخـرابـهـا الأقـدار
كـتـبـت يـد الـحـدثـان فـي عـرصـاتـهـا
لا أنـت أنـت ولا الـديـار ديـار[2]

(1) أندلسيات، د. عبد الرحمٰن علي الحجمي، ص: 18، ط1، دار الرشاد، بيروت، 1969م.

(2) رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود، د. حسين مؤنس، ط 1، 1963م، الشركة المصرية ـ القاهرة.

وأنشد أبو البقاء الرندي، شاعر رثاء أندلس هذه المرثية القيمة التي تعدو وثيقة هامة لما آلت إليها شأن هذه الحضارة الباسقة من التضعضع وتخبط ملوكها من البذخ والفساد والميوعة وانحراف في الحكم والخلق، مما مهدت إلى الوقوع فريسة سهلة إلى أيدي الصليبية العالمية، وهو يدعو هنا والبكاء ملأ جفونه إلى الجهاد الذي فقد، ويرثي ما ضاع من بلاد الأندلس.

❑❑

من أحكام القضاة

لكلّ شيء إذا ما تمَّ نقصان
فلا يُغرّ بطيب العيش إنسانُ
هي الأمور كما شاهدتها دُوَلٌ
مَن سرّه زمنٌ ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقي على أحدٍ
ولا يدومُ على حالٍ لها شانٌ
يُمَزِّق الدهر حتماً كل سابغة
إذا نبتْ مُشرفيًّا وخرصان[1]
وينتضي كل سيف للفناء ولو
كان ابن ذي يزن والغمدُ غِمدانُ[2]

(1) السابغة: الدرع الكاملة، المشرفيات: السيوف: نسبة إلى مشارف الشام، والخرصان: جمع خرص: الرمح.
(2) سيف ذي يزن: من ملوك اليمن . غمدان: قصر كان له .

أين الملوك ذوو التيجان من يمنٍ
وأين منهم أكاليل وتيجانُ
وأين ما شادَه شداد في إرمٍ
وأين ما ساسه في الفرس ساسان[1]
وأين ما حازه قارون من ذهب
وأين عادٌ وشداد وقحطان
أتى على الكلِّ أمر لا مردَّ لهُ
حتى قضوْا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملكٍ ومن مَلكٍ
كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على دارا وقاتله
وأمَّ كسرى فما آواه إيوان
كأنما الصعب لم يَسهُل له سبب
يوماً ولا مَلَكَ الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع منوعة
وللزمان مسرّات وأحزان
وللحوادث سلوان يُهوِّنها
وما لما حلَّ بالإسلام سلوان

(1) قيل في إرم إنها دمشق والإسكندرية، وساسان: أبو طائفة عظيمة من ملوك الفرس.

دهى الجزيرة أمر لا عزاءَ له
هوى له أُحدٌ وانهدّ ثهلان[1]
أصابها العين في الإسلام فارتزأت
حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل بالنسيبة ما شأن مُرسية
وأين شاطبة أم أين جيّان
وأين قرطبة دار العلوم فكم
من عالم قد سما فيها له شان
وأين حمصٌ وما تحويه من نُزه
ونهرها العذب فيّاض وملآن
قواعد كنَّ أركان البلاد فما
عسى البقاء إذا لم تبق أركان
تبكي الحنيفية البيضاء من أسف
كما بكى لفراق الإلف هيمان
على ديار من الإسلام خالية
قد أُسلمت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما
فيهنّ إلّا نواقيس وصلبان

(1) الجزيرة: جزيرة أندلس، وثهلان : جبل باليمن.

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة
حتى المنابر ترثي وهي عيدان
يا غافلاً وله في الدهر موعظة
إن كنت في سِنَةٍ فالدهر يقظان
وماشياً مرحاً يُلهيه مواطنه
أبعد حمص تغرُّ المرءَ أوطان
تلك المصيبةُ أنستْ ما تقدّمها
وما لها من طول الدهر نِسْيَانُ
يا أيها الملك البيضاءُ رايته
أدرك بسيفك أهل الكفر لا كانوا
أعندكم نبأٌ من أهل أندلس
فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنو المستضعفين وهم
أسرى وقتلى فما يهتز إنسان
ماذا التقاطع في الإسلام بينكمُ
وأنتم ياعباد الله إخوان
يامن لذِلّةِ قوم بعد عزهمُ
أحال حالهم كفر وطغيان
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم
واليوم هم في بلاد الكفر عُبدان

فلو تراهم حيارى لا دليل لهم
عليهمُ من ثياب الذل ألوان
ولو رأيت بكاءهم عند بيعهم
لهالك الأمر واستهوتك أحزان
يا رُبَّ أمٍ وطفلٍ حيل بينهما
كما تفرق أرواح وأبدان
وطفلة ما رأتها الشمس إذ برزت
كأنما هي ياقوت ومرجان[1]
يقودها العِلج للمكروه مكرهةً
والعين باكية والقلب حيران[2]
لمثل هذا يذوب القلب من كمد
إن كان في القلب إسلام وإيمان[3]

الشعبي في الفصل بين رجل وامرأة

دخل عليه رجل ومعه امرأة من أجمل النساء فاختصما إليه، فأدلت المرأة بحجتها وقرّبت بينتها. فقال للزوج: هل عندك من مدفع؟ فأنشأ يقول:

فُتن الشعبي لما رفع الطّرف إليها

(1) الطفلة: الرخصة الناعمة.
(2) العِلج: الرجل الضخم من أهل العجم.
(3) أبو البقاء الرندي: حياته وشعره، د. محمد رضوان الداية مؤسسة الرسالة، ط1، 1396هـ. 1976م بيروت.

فـتـنـتـه بـدلال ويـخـطـئ حـاجـبـهـا
قـال لـلـجـلـواز قـرّبـهـا وأحـضِـر شـاهـديـهـا
فـقـضـى جـوراً عـلـى الـخـصـم ولـم يـقـضِ عـلـيـهـا

قال الشعبي: دخلتُ على عبد الملك فأنشد (فُتن الشعبي) ثم قال: ما فعلت بقائل هذا الأبيات؟ قلت: أوجعته ضرباً بما انتهك من حرمتي في مجلس الحكومة وبما افترى عليّ.

❑❑

عُقبى الانفراد بالرأي

من خواطر أمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله تعالى: «من استقل بنفسه استوحش، ومن استقل برأسه ضَل، الرأي مسير إن قعدت عنه تغير، هلكت أمة تحيا بفرد وتموت بفرد، شورى من الحَجّاج وزياد خير من الفرد ولو كان عمراً، جئني بالنمر العاقل أجئك بالمستبد العادل»[1].

نظراً لقيمة هذه الخواطر من الناحية الفكرية والسياسية والاجتماعية الإسلامية. فقد عرضتها على الأستاذ عمر بن عبد الغفور الألمعي لكي يبين غموضها، ويفك عُسرها، فقد علق عليها وأنارها بفكره الثاقب ما تشكل من معانيها السامية:

(الرأي مسير إن قعدت عنه تغير) ما يظهر للإنسان من حكمة واهتداء وبصيرة، فهو شوط يقطعه العاقل في طريق تفهم الحقيقة، فإذا قعد عن هذا المسلك وأنهى جهوده الفكرية تغير

(1) وسائل تقدم المسلمين، أحمد الشرباصي، ص: 54، مصر.

رأيه، وانتقل من غير اهتداء إلى ما هو وبال ووخامةٌ وسوءُ مرجع. فيختلط عليه الأمر ويلتبس عليه الفكر ولا يدري من أين بدأ وإلى أين ينتهي مسيره.

(هلكت أمة تحيا بفرد، وتموت بفرد): ماتت أمة، وانتهى أمرها وأصبحت في خبر كان، وذهب ريحها وحلَّ بها البلاء من كل صوب وحدب، وجاءها المكروه من حيث لا تدري، ووقعت في شرَك الردى، هذه الأمة الهالكة التي نزل بها البلاء، هي تلك الأمة التي تعيش وتعتمد في حياتها، وتبني اقتصادها وسيادتها وكرامتها واستمرار قوتها على دهاء وعقل وتعب فرد واحد يعيش خادماً لأمته يحمي عنهم، ويدافع عن مجدهم، ثم يموت بعد حين فلا تجد الأمة خليفة لهذا الفرد القائد، فتبقى الأمة بلا سائس وقائد يسوسها ويقودها، ويأخذ بيدها إلى مدارج العلى ومرقاة الفضل ومنبر الكرامة، فتتهافت وتنحلُّ قواها وتُمزَّق الفتن أضلاعها وتسقطها المشاكل والأزمات، وتطحنها الكروب بالويلات، فتموت وتهلك، وتنتهي حال موت قائدها. وأيضاً فإن هذه الأمة التي مر شأنها، تنتهي وينقضي عزها إذا كان فيها مؤذٍ واحد يمشي بين أفرادها بالنميمة والسعاية، ويُعمَلُ فيهم القتل والبطش ويسلب كرامتهم، وإنما يعمل ذلك لأنهم سلّموه مقاليد الحكم ومفاتيح دولتهم وكانوا قادرين على أن يمنعوا من الاقتراب من إمكاناتهم، ومس طاقاتهم وممتلكاتهم، وأموالهم والعبث بمقدراتهم فهلكت لسكوتها وخذلانها وتهاونها بأمرها.

(شورى من الحَجّاج)، أي أن الإنسان إذا لم يكن له بُدُّ

من استشارة أخيه في أمر يهمّهُ ويقصِدُ إمضاءهُ فإن عليه أن يأخذ بمشورة العاقل، وأنه إذا رأى أن يشير على غيره في أمر يعلم أن فيه صلاح أخيه، وصحة أمر الذي يعلمه فعليه أن يستشير بالعاقل وإن كان ظالماً متناهي الظلم بدون الحق ويشير على أخيه المحتاج ولو كان ظالماً لا يستحق المشورة.

فالشورى من الرجل الظالم كالحجّاج مثلاً خير من الاستبداد بالرأي الخاوي والعقل الضعيف الذي يحتاج فيه الإنسان إلى قوة وإسناد ليعي ويفهم الحق، فالشورى خير من الانفراد والخوض في الأمر والسعي في العمل بلا اعتماد على عقل عاقل جرّب الأمور وحنّكته التجارب.

فهذا خير من عمر الإنسان بمعزل عن الشورى من أخيه ولو كان جائراً ضالاً.

(وزياد خير من الفرد ولو كان عمراً)، مساعدة الإنسان الذي يأتي لأخيه خير وأفضل من بقاء الإنسان بنفسه منفرداً، ويعمل ويجدّ ويحكم دون أن يعاونه من هو قوي الرأي شديد العزيمة مضّاء القوة، ولو كان هذا الفرد يعتمد على ذاته في إمضاء حاجاته العامة تقياً عابداً عادلاً كعمر ﷺ، (جئني بالنمر العاقل، أجئك بالمستبد العادل)، أن الإنسان مهما كان فطناً فإنه عاجز أن يأتي بعاقل شرس؛ لأن العقل يمنع الإنسان من الضراوة والشراسة والخبث والفتك بالآخرين، فيمتنع عقلاً أن يكون الإنسان عادلاً معتدلاً يحكم بالحق ويتجنب الشطط وهو في ذات الوقت مستبد ينفرد بعقل ويعرّج على رأيه ويطوي كشح جانب الاستماع إلى نصيحة الغير. فإذا امتنع كون النمر

عاقلاً واعياً خبيراً بمضار الاعتداء، وخبث السطو على الضعفاء، فإن من البدهي أن يكون المستبد الذي يتولى حكم الناس عادلاً يسير على نهج صحيح خالٍ من الشبهات والأباطيل، ودروب الضلال وخلجات الشكوك.

□□

من حكم الأحنف

قال السيد عبد الخالق الرحيم الأردبيلي (ت 740هـ) في كتابه غرر المثاني ودرر المعاني: قال الأحنف بن قيس:

من ظلم نفسه كان لغيره أظلم، ومن هدم دينه كان لدين غيره أهدم.

وقال: من منعك من الخير حرمك، ومن أعانك على الشر ظلمك.

وقال: كثرة الضحك تذهب الهيبة، وكثرة المزاح تذهب المروءة، ومن لزم شيئاً عرف به...

وأضاف في ذيل الأمالي والنوادر:

من مزح استخف به، ومن أكثر في شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قلَّ حياؤه مات قلبه.

□□

علام بنيت أمرك في التوكل؟

روي عن حاتم بن علوان رحمه الله وهو من علماء خراسان، أن رجلاً سأله: علام بنيت أمرك في التوكل؟ قال: على أربع

كلمات:

1 ـ علمت بأن رزقي لا يأكله غيري، فاطمأننت إليه.

2 ـ علمت بأن عملي لا يعمله غيري، فأنا مشغول به.

3 ـ علمت بأن الموت يأتيني بغتة، فأنا أبادره.

4 ـ علمت أني لا أخلو من عيني الله حيث كنت، فأنا أستحي منه.

❑❑

لولا الرجاء...

لولا الرجاء، لمات المريض في وهمه قبل أن يُميته المرض، ولقُتل الجندي في الحرب من خوفه، قبل أن يقتله عدوه، ولولا الرجاء لما كانت الحياة والأمل مصباح لا يضيء إلّا من بعيد، ولو تركت الأمور لاحتمالات العقل وقوانين المادة ، لما استطعت أن تتنفس الهواء، أو تشرب الماء خشية أن تكون فيه جرثومة داء، ولا ركبت السيارة لاحتمال أن تصطدم، ولا صعدت بناءً لإمكان أن ينهدم، ولا اتخذت خليلاً لأنه قد يخون. فالإيمان بالقدر راحة، لأنه إن قدَّر عليك بمصاب، فاحمد الله تعالى، ففي الناس من أصيب، وإن خسرت ألفاً، ففيهم من خسر ألفين، فهل عرفتم الآن حكمة القدر[1].

❑❑

(1) صور وخواطر، علي الطنطاوي، ص: 18.

وصفة لأمراض القلب

سئل أحد العارفين عن شفاء القلب من الأمراض التي تبعده عن الله، قال: عليك: بعروق الإخلاص، وورق الصبر، وعصير التواضع، ضع ذلك في إناء التقوى وصبّ عليه ماء الخشية، وأقدهُ بنار الحزن، وصفّهِ بمصفاة المراقبة وأبعد نفسك عن الحرص، والطمع، والغل، والحقد، والحسد، وحب الجاه، تشفى من مرضك بإذن الله تعالى.

اطلب قلبك في هذه المواطن

قال عبد الله بن مسعود ﷺ : اطلب قلبك في أربعة مواطن:

* اطلبه عند قراءة القرآن الكريم.
* واطلبه عند ذكر الله تعالى.
* واطلبه عند الخلوة.
* واطلبه في رمضان.

فإن لم تجده في هذه المواطن فاسأل الله تعالى أن يرزقك قلباً، فإنك لا قلب لك.

❑❑

عجبت لمن ابتلي كيف يغفل؟

قال الإمام جعفر الصادق ﷺ: عجبت لمن ابتلي بخمس كيف يغفل عن خمس:

1 ـ عجبت لمن ابتلي بالضر، كيف يذهب عنه أن يقول:

﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ والله يقول: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾[1].

2 ـ عجبت لمن ابتلي بالغم، كيف يذهب عنه أن يقول: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ والله يقول: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

3 ـ عجبت لمن مكر به، كيف يذهب عنه أن يقول: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾[3].

4 ـ عجبت لمن أنعم الله عليه بنعمة، خاف زوالها، كيف يذهب عنه أن يقول: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ والله يقول: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[4].

5 ـ عجبت لمن خاف شيئاً، كيف يذهب عنه أن يقول: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ والله يقول: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾[5].

❑❑

(1) سورة الأنبياء، الآيتان: 82، 83.
(2) سورة الأنبياء، الآيتان: 86، 87.
(3) سورة غافر، الآيتان: 44، 45.
(4) سورة الكهف، الآية: 39.
(5) سورة آل عمران، الآيتان: 172، 173.

أمور تضحك وتبكي

قال سلمان الفارسي ﷺ: أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث:

ضحكت من مؤمل الدنيا، والموت يطلبه.

وغافل لا يغفل عنه.

وضاحك ملء فمه، لا يدري أساخط ربُ العالمين عليه أم راضٍ.

وأبكاني: فراق الأحبة ومحمد ﷺ وصحبه ﷺ، وهول المطلع عند الفراق الموت، والوقوف بين يدي رب العالمين حيث لا أدري إلى النار أم إلى الجنة؟

□□

تحديد الوقت

يقول أحد الأدباء: أمران لا يحدد لهما وقت بدقة:

1 ـ النوم في حياة الفرد.

2 ـ الانحطاط في حياة الأمة.

فلا يشعر بهما إلَّا إذا غلبا واستوليا[1].

□□

(1) لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم، شكيب أرسلان، ص: 8، مكتبة الحياة ـ بيروت.

الدعاء الإيجابي

قال الشاعر المصري محمد مصطفى حمام: وهو يناجي ربه بهذه الأدعية:

ربنا اجعلنا أصح الناس ديناً
واجعل الدنيا لنا خفضاً ولينا

ربنا واطبع ذرارينا على
سنة التقوى بناتٍ وبنينا

وتغمد والدينا بالرضا
واجعل الغفران عقبى لدوينا

وازرع الرحمة في أنفسنا
واكفنا بأس العتاة الظالمينا

وإذا أولينا يا رب نعما
ء فصنها من عيون الحاسدينا

وإذا أنزلت ضراء بنا
فاجزنا عنها جزاء الصابرينا

وإذا ما انكشف الضر فألهمنا
وفاء الأوفياء الشاكرينا

رب بصرني بديني وأقم
لي على الجاحد سلطاناً مبينا

أغنني يا رب عن عون الورى
ثم لا تغن الورى عني معينا
أعطيني أعط وكن جاهي أكن
جاه من ألقى من المستضعفينا
واطل عمري وأوزعني أن
أنفع الناس خصيماً وخدينا
ثم هيئ لي عن الدنيا حيلاً
لا أقاسي فيه سقياً وأنينا[1]

❑❑

قد صحبتني فماذا تعلمت

روي عن شقيق البلخي أنه قال لحاتم الأصم: قد صحبتني مدة[2] فماذا تعلمت؟ قال: تعلمت ثماني مسائل:

1 ـ نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت كل واحد يحب محبوباً، فهو معه إلى القبر، فإذا وصل إلى القبر فارقه، فجعلت الحسنات محبوبي، فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي.

2 ـ ونظرت في قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾[3]. فاجتهدت

(1) وسائل تقدم المسلمين، أحمد الشرباصي، ص: 54، مصر.
(2) إنه صحبه مدة ثلاث وثلاثين سنة.
(3) سورة النازعات، الآيتان: 40، 41.

نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى.

3 - إني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت إلى قوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[1]، فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله ليبقى عنده محفوظاً.

4 - إني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب فنظرت فيها فإذا هي لا شيء ثم نظرت إلى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2]، فعملت بالتقوى حتى أكون عنده كريماً.

5 - إني نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض، ويلعن بعضهم بعضاً وأصل هذا كله الحسد، ثم نظرت إلى قول الله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[3]، فتركت الحسد، واجتنبت الخلق، وعلمت أن القسمة من عند الله ﷻ فتركت عداوة الخلق عني.

6 - نظرت إلى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض، ويقاتل بعضهم بعضاً فرجعت إلى قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[4]، فعاديته وحده، واجتهدت في أخذ حذري منه؛ لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدوّ لي فتركت

(1) سورة النحل، الآية: 96.
(2) سورة الحجرات، الآية: 13.
(3) سورة الزخرف، الآية: 32.
(4) سورة فاطر، الآية: 6.

عداوة الخلق غيره.

7 ـ نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له، ثم نظرت إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[1]، فعلمت أني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى علي وتركت ما لي عنده.

8 ـ نظرت إلى هذا الخلق، فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق. هذا على ضيعته وهذا على تجارته، وهذا على صناعته، وهذا على صحة بدنه ـ وكل مخلوق متوكل على مثله، فرجعت إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[2]، فتوكلت على الله ﷻ فهو حسبي.

قال شقيق: يا حاتم وفقك الله تعالى، فإني نظرت في علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم، فوجدت جميع أنواع الخير والديانة تدور على هذه الثماني مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة[3].

□□

دعوة إلى مد الحياة

* إن الروح لتزداد غنىً «بالنظر» الدائم الذي يدعو إليه كتاب الله.

---

(1) سورة هود: الآية: 6.

(2) سورة الطلاق، الآية: 3.

(3) إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي (1/ 65).

* والعقل ليزداد إدراكاً «بالتفكر» الدائم الذي يدعو إليه كتاب الله.

* والحس ليزداد امتلاكاً بالتعامل مع الطبيعة والعالم وذلك الذي يدعو إليه كتاب الله.

* والوجدان ليزداد شفافية ورقة وصفاءً بالمعاناة الدائمة التي يدعو إليها كتاب الله[1].

* وبالإرادة لتزداد قوة وشكيمة وعزيمة وتنمية، وذلك بأعمال يومية تشد منها لتكون رقيبة على العقل حارساً له، فكانت الإرادة عقلاً للعقل، وذلك يدعو إليه كتاب الله.

* وبالتأمل: لتزداد من الرؤية لبواطن الأمور والوصول إلى الحلول الصائبة، وتعمقاً وإصابة، ونفاذاً لمجاهيل الطبيعة وما وراء الطبيعة ويشحن الذهن ويصفّيه من الكدورات وذلك بمصفاة التأمل، وذلك يدعو إليه كتاب الله.

* فالتأمل، بوتقة تصهر فيها العواطف، والأفكار الناشئة لتخرج منها صافية، إنه مصنع تكتيل القوى الروحية.

* وبالتجارب: لتزداد في التعامل والاختلاط مع الناس والأشياء، فهي تنمي المواهب، وتمحو المعايب، وتزيد البصر بصيرة وليس من جرب كمن لم يجرب وذلك يدعو إليه كتاب الله.

□□

(1) حوار في المعمار الكوني، عماد الدين خليل، ص: 120 ،قطر.

الجواب الصادق

قال أبو مسلم الداراني رحمه الله: قلت لأم هارون العابدة: أتحبين أن تموتي؟

قالت: لا.

قلت: ولِمَ؟

قالت: والله لو عصيت مخلوقاً، لكرهت لقاءه، فكيف بالخالق جل جلاله؟

ورحم الله هذا الشاعر الفحل الذي ترجم هذا الجواب شعراً:

وكيف يلذ العيش من هو عالم
بأن إله الخلق لا بد سائله
فيأخذ منه ظلمه لعباده
ويجزيه بالخير الذي هو فاعله
وكيف يلذُ العيش من كان صائراً
إلى لحد قبر فيه تبلى شمائلهُ
ويذهب رسم الوجه من بعد ضوئه
قريباً ويبلى جسمه ومفاصله

□□

جواب الداهية

قال المنصور في مجلسه لقواده: صدق الأعرابي حيث

يقول: أجع كلبك يتبعك.

فقام أبو العباس الطوسي فقال: يا أمير المؤمنين، أخشى أن يُلوِّح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك.

رحم الله علماءنا، كانوا لا يفتأون يوجهون الحاكم والأمراء ولا يخافون في الله لومة لائم، ويرشدوهم إلى ما فيه صلاح الرعية.

□□

النية الصالحة

قال المأمون: «من لم يحمدك على حسن النية لم يشكرك على جميل الفعال» ، وأهمية قول المأمون تكمن في أنه يحيلك ابتداء على النية التي لا ينبغي إهمالها إذا أردت قياس الفعل في النهاية، فإن الفعل الخطأ تشفع له النية الصالحة حتى تثنيك عن الملامة.

□□

من الأجوبة المسكتة

شهد رجل عند سوّار فقال له: ما صناعتك؟

قال: أنا مؤدب.

قال: فإنا لا نجيز شهادتك.

قال: ولِمَ؟

قال: لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجراً!

قال: وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجراً.

قال: إني أكرهت على القضاء.

قال: ياهذا، القضاء أكرهت عليه، فهل أكرهت على أخذ الرزق؟

قال: هلمّ شهادتك. فأجازها.

❑❑

نصيحة للقضاة

روي أن امرأة تحاكمت إلى شريح فبكت.

فقال الشعبي: يا أبا أمية أما تراها تبكي؟

فقال شريح: لقد جاء أخوة يوسف يبكون وهم ظلمة، لا ينبغي للإنسان أن يقضي إلّا بالحق[1].

❑❑

صدق خاتم النبيين

سمع بعض علماء الطبيعة من غير المسلمين هذه الآية: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾[2].

فسأل: هل ركب محمد البحر؟

فقالوا: لا.

فقال: أشهد أنه رسول الله ﷺ.

قالوا: كيف عرفت؟

فقال: إن هذا الوصف للبحر لا يعرفه إلّا مَنْ عاش عمره في البحار، ورأى الأهوال والأخطار، فلما أُخبرتُ أنه لم

(1) صفوة التفاسير، للصابوني (2/ 45).

(2) سورة النور، الآية: 40.

يركب البحر عرفت أنه كلام الله تعالى[1].

□□

ينبوع الحضارات

هذه قصيدة قيمة لأستاذنا العلامة ابن العلامة عبد الله ابن مصطفى النقشبندي، فيها يصور جمال العلم والمعرفة والإيمان تصويراً فذاً، يقول: أمّا العقد الأول منها فهو هذا الوصف الوادع الصادق تستزين به قصيدة حق في مسار العلم ومصائره بين الأمم والحضارات، نحبّ ننشدها للقارئ على شفاه الحروف والكلمات، عساه يشتفّ من أنسامها وأنعامها رَوحاً ورُوحاً وبهجة ونشاطاً.

□□

فرعون

طغى فرعون عصر الذرة العاتي
فقال ابنوا بأيدي العلم آيات
وصرحاً من صواريخ وآلات
لعلي أبلغ الأسباب أسباب السمواتِ
بنى آباؤنا الماضون أعواما
فدعهم يفرحوا بالعلم أياما
فما انزاح النُهى في الأرض ما قاما
بنقل العلم أهل العصر من ماض إلى آتي

(1) صفوة التفاسير(2/ 336).

فأما من طغى بالعلم واستشرى
فريق لم يرد بالحكمة الخيرا
و أورى الحرب أورى الفتنة الكبرى
فذاك الجهل لا العلم الذي شاد الحضارات
زَيان العلم أخلاق وإيمان
فقطع الصنو عن صنويه عدوان
وصرح العقل أخدود وصوّان
متى ما استُلَّ من أحضان روضات جميلات
أفق يا أيها المستغرب الصادي
سراب جاهلي ذاك في وادي
يفاع الشرق فيه الكوثر الجادي
هلمّ ارجع على روح وريحان وجنات
فهذا المشرق المزدان بالنور
وحبّ في رحاب الله مبهور
لناجٍ من شرىً بالغرب مسحور
وراجٍ طيبة البشرى وينبوع الحضارات[1]

❑❑

(1) الحرية الجامعية، قصص من واقع الحياة، د. عبد الله النقشبندي، ص: 290، ط1، 1410هـ. 1989م طبع بمطابع التعليم العالي.